صورة البطل المسلم في شعر الحروب الصليبية

د. عبدالقادر شريف أبو شريفة
جامعة عمّان الأهلية

ملخص

مع أهميـة موضوع البطل في شعر الحروب الصليبية، إلا أنه لم يحظَ بدراسة مستقلة، بل إن الدراسات التي تناولت أدب هذه الفترة ما زالت قليلة، وقلما توقفت عند ظواهر فنية أو فكرية مع غزارتها واتصالها بالظروف التي تعيشها منطقتنا العربية. لذا جاءت هذه الدارسة كي تكشف عن جانب هام من جوانب الشعر في تصويره للبطل خلال الفترة المذكورة.

لقد رُصد الشعر الذي صوّر الأبطال المشهورين منهم وغير المشهورين إبان الحروب المذكورة. ولدى تحليل عناصر الصورة وُجد أن الشعراء ركزوا على العناصر التقليدية، من شجاعة مثالية وكرم وعدل وتقى.. إلا ان هذه العناصر امتزجت بالواقع، وبذلك ارتسمت عناصر جديدة لصورة البطل، أهمها: سعيه لتوحيد البلاد الاسلامية وتحرير الديار المغتصبة، كما ان تصويرهم للبطولة ومدح الأبطال جاء أسلوباً من أساليب حفز الهمم لمواصلة الجهاد والتحرير. ولذلك كله تشابهت صور الأبطال وامتزجت، إلا أن الدارس قد يعتمد على عناصر أخرى وردت في الشعر للكشف عن صاحب تلك الصورة، من ذلك اعتماد الشعراء على أسماء الأبطال وألقابهم ووقائعهم وتوليد صور لهم دالة عليهم.

ABSTRACT

Few studies have been done on the medieval Arabic literature during the war against the Crusaders.

The image of the Moslem hero, in particular, received little scholarly attention and investigation

This study shows the great effort under taken by poets, during that period, to encourage their contemporary leaders in their holy fight against the European invaders.

Few decades later, strong leader emerged. The images which the poets portrayed revolved around heroes who possessed chivatric qualities such as generosity, nobility and piety. This study also examines the techniques and styles which those poets used in their portraying of those warriors.

مقدمة تاريخية:

بسط الفرنج نفوذهم على الساحل الشامي من أنطاكية شمالاً الى جنوبي فلسطين بأعماق مختلفة، خلال سنوات قليلة بدءاً من سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م، وذلك لما أصاب المسلمين من تمزق وتجزؤ نخر جسم الخلافة العباسية. ويكفي للتدليل على ذلك أن نشير الى أن الشام وحدها قد انقسمت، بعد موت ملكشاه بن ألب ارسلان سنة ٤٨٠هـ، الى ست دويلات متناحرة، هي: حلب ودمشق والقدس وأنطاكية وطرابلس وشيزر[١]. فأخذت المدن الاسلامية تتساقط أمام جحافلهم بعد قليل من الصمود، بل إن بعضها أخذ يرسل الوفود لتسليم المدينة أو للتحالف مع الغزاة ضد بعض الامارات الاسلامية[٢] فأقام الغزاة اماراتهم الأربعة: الرها وانطاكية والقدس وطرابلس في أرض المشرق الاسلامي.

وبسبب ذلك التفسخ والضعف لم يستطع قائد تسجيل حادثة ذات بال خلال العقود الثلاثة الأولى، حتى تولى عماد الدين زنكي إمارة الموصل وحلب سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م، فعمل على توحيد الامارات والمدن الاسلامية تحت امرته، فملك الشام الا دمشق، بسبب اتصال حاكمها بالفرنج[٣]. حينئذ رجع عماد الدين الى المشرق ليناجز الفرنج، واستطاع أن يقلص نفوذهم في قلب الأرض الاسلامية، ويزلزل امارة الرها سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م، فأخذ الشعر يسجل مواقف الأبطال ويحضهم على اظهار بطولاتهم مهما كانت..

ومع الصحوة الإسلامية تتابع ظهور القادة العظام الذين عملوا على متابعة توحيد الأمة ومناجزة اعدائها، يستحثهم الشعر ويعضدهم الرأي العام والزنود القوية، فظهر نور الدين ثم صلاح الدين الذي توّج أعمال التوحيد والجهاد باسترداد القدس بعد احتلال دام إحدى وتسعين سنة. ولكنه لم يُكتب له استئصال شأفة الأعداء، فتابع رجال أسرته أعمال الجهاد، ثم تلاهم المماليك الذين استطاعوا بعد وقت طويل طرد آخر جندي صليبي من عكا سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وخلال عامين تاليين لم يبق منهم جندي في مصر والشام.

★★★

الصدمة:

طغى شعور عام على المسلمين والشعراء بالمرارة وخيبة الأمل في نهاية القرن الخامس وأوائل السادس الهجريين، لأنه لم يوجد قائد استطاع ان يوقف الزحف الفرنجي الى الديار المقدسة، فهام الناس على وجوههم يستصرخون الخلافة في بغداد، وينفخون في الرماد لعلهم يجدون قبساً، منبهين الى

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في أحداث سنة ٤٨٥هـ؛ الكامل جـ١٠ ص٢٤، وأخبار الدولة السلجوقية ص٧٥، ويقول رنسيمان في تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص١٢٠ و ٣٢٦ ان «كل بلدة فيها تشكل دولة».

(٢) ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، جـ٢ ص٢١٦.

(٣) المصدر السابق جـ٣ ص٤.

خطورة الموقف والتحديات التي تواجه المسلمين جميعاً. وتمثلوا الرسول ﷺ يستصرخ كل عربي ومسلم ليدافع عن الدين الذي أصبح واهي الدعائم لضعف الانتماء والغيرة، ولانقسام الناس على أنفسهم، فأهل بغداد لا يشعرون بما أصاب الشام من ذل وهوان، ويتناسون الذل الذي سيلحق بهم والصغار إن بقوا سادرين في غيهم وترفهم. فهذا أبو المظفر الأبيوَردي يهيب بالمسلمين، ويبصّرهم بخطورة الموقف ويحرك فيهم النخوة الدينية والحمية والغيرة، يقول:

فأيـهـاً بنـي الاسـلام، إنّ وراءكـم ... وقـائـعَ يُلحـقـن الذُرى بالمـنـاسـمِ
أتـهـويـمـةً في ظِلِّ أمـنٍ وغِـبـطَةٍ ... وعَـيْشٍ كنُـوّارِ الخـمـيـلةِ ناعـمِ
وإخـوانُـكـم بالشـام يضـحـي مَقـيـلُهم ... ظهـورَ المـذاكـي أو بطونَ القَـشـاعـمِ
يسـومُـهـم الرومُ الهـوانَ وأنـتـمُ ... تجـرّونَ ذيْـلَ الخـفضِ فِعْـلَ المسـالمِ
وكـم من دمـاءٍ قد أبـيـحتْ ومـن دُمـىً ... تواري حيـاءً حُسْـنـهـا بالمـعـاصـمِ
يكـادُ لهـن المـسـتـجـنُّ بطيـبـةٍ ... ينـادي بأعـلى الصـوتِ يا آل هاشـمِ
أرى أُمـتـي لا يَشْرعـونَ الى العـدى ... رمـاحَـهـم، والديـنُ واهـي الدعـائـم
ويـجْـتـنـبـونَ النـار خوفـاً من الردى ... ولا يحـسـبـونَ العـارَ ضربـةَ لازم

ثم يستنهض همم الأبطال المسلمين عرباً وعجماً، مستنكراً أن يرضوا بالذل، مهيباً بهم أن يذودوا عن دينهم وإلّا عن حريمهم وإلا فليثبتوا في حومة الوغى رغبة في الغنائم:

أتـرضى صنـاديـدُ الأعـاريـبِ بالأذى ... وتُـغْضي على ذلٍّ كمـاةُ الأعـاجـم؟!
فلَيْـتـهُـمُ، إن لم يذودوا حمـيّـةً ... عن الديـن، ضنـوا غَيرةً بالمـحـارم!
وإن زهـدوا في الأجـر إذْ حمـي الوغـى ... فهـلّا أتـوه رغـبـةً في الغـنـائـم؟![1]

فهذا الشعر الحزين يسجل بمرارة خلو الساحة من الأبطال، وانشغال الناس بملذات الحياة حتى تبلدت مشاعرهم، فسامهم الروم الهوان، وداسوا كرامتهم دون أن ينبض لهم عرق، بينما تحركت النخوة في الأباة فاستنكروا هذا الرضوخ. ونجد مثل هذا الشعور بالمرارة الممزوجة بالثورة والاستنكار عند شاعر آخر يهيب بالرجال شباناً وشيباً كي يتقدموا الى ساحة البطولة، ويرفعوا الضيم عن الدين والناس.

أتُـسـبـى المـسـلمـاتُ بكـلِّ ثغـر ... وعَـيْـشُ المـسـلمـين إذنْ يطيـب؟!
أمـا لله والاسـلامِ حـقٌّ ... يُدافـعُ عنـه شُـبـانٌ وشـيـب؟!
فقـل لذوي البـصـائـر حيث كانـوا ... أجـيـبـوا الله ـ ويْـحَـكُـمُ ـ أجـيـبـوا[2]

ردة الفعل

ومع ردة الفعل الأولى للاحتلال، بدأ الشعراء ينفخون في روح الأمة الاسلامية عرباً وعجماً ليظهر

(١) ديوان أبي المظفر الأبيوردي، ت د. عمر الأسعد، جـ٢ ص١٥٦ ـ ١٥٧، وانظر ابن الأثير، الكامل جـ١٠ ص٢٨٥.
(٢) لم تذكر المصادر اسمه. انظر النجوم الزاهرة جـ٥ ص١٥١.

منها بطل ينافح عن المقدسات ويحمي الأعراض، في وقت تبلدت فيه الضمائر وغارت المشاعر، وذلك عن طريق الإنكار على الناس ترفهم وغيهم وتفرقهم، وعن طريق إثارة الحمية في نفوسهم، وحضهم على اليقظة والوحدة والاجتماع على قائد يسير في طريق الجهاد. وبذلك تكررت صيحات الثورة والتحريض ممزوجة بالنقد اللاذع لهذا السكوت الشائن. يقول ابن الخياط:

إلامَ؟ وقد زَخرَ المشركونْ بسيلٍ يهالُ له السّيْلُ مدّا
وَقَدْ جاشَ من أرْضِ إفرنجةٍ جيوشٌ كمثل جبالٍ تردَّى
أنوماً على مِثْلِ هدِّ الصفاةْ وهُزْلاً وَقَدْ أصبحَ الأمرُ جَدّا؟!

ثم يحضهم على الالتفاف حول القائد الأمير مجد الدين عضب الدولة الذي اشتهر هو وآباؤه بالقوة، ويغريهم بإمكان السيطرة على الأمور ولاسيما أنه قد لاحت بوادر الظفر:

فلن تعْدموا في انتشار الأمور أخا تُدْرَإٍ حازمَ الرأي جَلْدا
كمثل زعيم الجيوش المليّ بعزمٍ، يبيت له الحزمُ ردّا
فدونكمُ ظفَراً عاجلاً لكم جاعلاً سائرَ الأرضِ مَهْدا
فقد أينعَتْ أرؤسُ المشركين فلا تُغْفلوها قطافاً وحَصْدا
فلا بدّ من حدِّهم أن يُفَلّ، ولا بدَّ من رُكْنهم أن يُهدّا[1]

ومع كل هذا التحريض ورفع الهمم لم تظهر ردة فعل حازمة خلال العقود الثلاثة الأولى، إلا أن الشعراء تابعوا الأحداث والرجال الذين حاولوا تغيير الأوضاع متابعة تدل على دورهم الاعلامي لصنع ذلك البطل. فأخذوا يمدحون أي قائد يحاول مواجهة الغزاة بغضّ النظر عن النتيجة أو قوة الصدام، فيسبغون عليه الصفات المثالية من شجاعة وقوة.. ثم يلتفتون الى تبصيره بواقع المسلمين وحاجتهم الى من يسجل النصر. من ذلك قول ظافر الحداد في مدح الوزير الأفضل بن بدر الجمالي قائد الجيش المصري:

سارتْ له سيرةٌ أدنى مناقبِها قد عَطَّرَ الأرضَ والأفواه والكُتْبا
تَضمَّنتْ غزواتٍ كلما ضحك الاسلامُ عنهن، ناح الكفرُ وانتحبا

ثم يستثيره كي يواصل تلك السيرة الحسنة بأن يجهز جيشاً يحقق به النصر الموعود بعد طول غياب، كعودة الإبل الظمأى الى الماء في اليوم الخامس؛ يقول:

ضمّرْ خيولَك للنصر التي وُعِدْت وثقّف السّمر حزماً وارهف القُضُبا
أبشرْ، فعاداتُ وفدِ النصرِ قادمةٌ كالهيمِ من بعْدِ خمْسٍ وافت القربا
واسفك دماً في طلى الأعداء منتظراً فلو أشارت له أسيافُك انسكبا[2]

(١) ديوان ابن الخياط، ص١٨٤ ـ ١٨٥. والتُّدْرأ: الحفاظ والمنعة والقوة. والرِّدّ: العماد.

(٢) ديوان ظافر الحداد ص٣٦، ولمزيد من الأمثلة انظر الخريدة، قسم شعراء مصر جـ١ ص٢٦٥ والقرب: البئر القريبة الماء.

ويستغل الشاعر نفسه مناسبة يمدح فيها الخليفة الفاطمي فيذكره بأخذ الثأر من الأعداء الذين تقادم بهم العهد، ولاسيما أنه ينتسب الى الدوحة المحمدية والى اولئك الأبطال الذين انتصروا في بدر، ويغريه بأن الله قد ادخره لهذا اليوم ليزلزل هيبة الفرنج، يقول:

ستأخذُ للاسلام ثاراته التي ... تقادَمَ للكفر اللعين بها العهدُ
كما فعلتْ في يوم بدر سيوفُكم ... وفي الشرك من دون القليب لها وِرْد
لك العزماتُ النافذاتُ اذا انبرت ... الى مقْصِد لم تمنع البيضُ والسَّرْدُ
تزلزل ما خلف الفرنجة هيبة ... له، فرواسيها تخرّ وتنهدّ
ولله سرٌّ فيك حانَ ظهورُهُ ... ليوقِنَ مرتاب ويرجع مرتدّ[1]

ويقول فيه في مناسبة أخرى:

بادرْ بيومٍ مثل بدر إن يكن ... لأبيك ذاك فان ذا لسليله
واجر الجيادَ فكلُّ طرفٍ سابحٍ ... شوقاً لهذا النصر جلَّ صهيله
فلْيَثْبُت الافرنجُ منه لِقَسْورٍ ... بعثَ الحتوفَ اليهمُ من غيله
ما مالُهم وحريمُهم ودماؤهم ... إلا وديعتُه بكفٍّ وكيله..[2]

★★★

مقوّمات البطولة:

أ ـ عناصر مثالية تصب في الشجاعة:

ومع ظهور عماد الدين زنكي على ساحة القتال اتضحت ردة الفعل قوية. وأمّل الناس والشعراء قرب النصر، وأخذوا يبرزون صورة البطل من خلال مواقعه مع الغزاة، فينسجون له صورة مثالية من الشجاعة التقليدية وينيرونها بخيوط أخرى، مثل: القوة أو الكرم أو حسن القيادة أو التقى.. من ذلك قول ابن القيسراني المتأجج قوة وفخراً وإعجاباً بعماد الدين زنكي الذي انتصر على الفرنج سنة ٥٣٤هـ:

حِذارِ منا وأنى ينفع الحذر ... وَهْي الصَّوارمُ لا تبقي ولا تذَرُ
وأين ينجو ملوك الشرك من مَلك ... من خيله النصر لا بل جنده القدر
سلّوا سيوفاً كأغماد السيوف بها ... صالوا فما غمدوا نصلاً ولا شهروا
حتى اذا ما عمادُ الدين أرهقهم ... في مأزِق من سناه يبرق البصر
ولّوا تضيق لهم ذَرعاً مسالكُهم ... والموتُ لا ملجأ منه ولا وزر[3]

فهو لشجاعته وقوته أبطل قوة الأعداء وأغشى بصرهم، فلم يجدوا سبيلاً الا الفرار أو الموت. وقد

(١) ديوان ظافر الحداد ص١١٧، والسرد: الدروع.
(٢) المصدر السابق ص٢٥٥.
(٣) الروضتين جـ١ ق١ ص٨٨.

أكدت الروايات التاريخية اتصافه بالقوة والشدة بينما وصفت ابنه نور الدين بأنه «جمع الشجاعة والخشوع لربه». فأصبح من الرجال المعدودين الذين جاد بهم الزمان بعد انقطاع، يقول ابن قسيم الحموي مادحاً نور الدين:

تبدو الشجاعة من طلاقة وجهه ... كالرمح دل على القساوة لينُه
ووراء يقظته أناةُ مجرّبٍ ... لله سطوةُ بأسه وسكونُه
هذا الذي في الله صحّ جهاده ... هذا الذي بالله صحّ يقينه
هذا الذي بخل الزمان بمثله ... والمشْمَخرُّ الى العلى عرنينه[1]

ولئن كانت الشجاعة قوة معنوية موروثة، إن الشعراء عظموا الأبطال الذين صقلوا هذه الشجاعة بسعيهم وتعبهم، وبينوا أنها لم تأت بالوراثة أو بالانتساب الى الآباء والأجداد فحسب، وإنما تحققت بالسهر والممارسة ومقارعة الأعداء، كما يقول ابن القيسراني في مدح نور الدين:

هذي العزائمُ لا ما تدّعي القضبُ ... وذي المكارمُ لا ما قالت الكتبُ
وهذه الهممُ اللاتي متى خُطبت ... تعثّرتْ خلْفَها الأشعارُ والخطب
صافحتَ يا ابن عمادِ الدين ذَرْوتَها ... براحةٍ للمساعي دونها تعب
لله عزمُك ما أمضى وهمُّك ما ... أقضى اتساعاً بما ضاقت به الحِقب
يا ساهد الطرفِ والأجفانُ هاجعةٌ ... وثابت القلب والاحشاءُ تضطربُ
أغْرتْ سيوفُك بالافرنج راجفةً ... فؤادُ رومية الكبرى لها يجبُ[2]

وهذا صلاح الدين الأيوبي لم يصل الى حكم مصر الا بالسعي والعمل وتوفير الحماية والنهضة للأمة التي ينتمي اليها، وبذلك استحق مدح عمارة اليمني اذ يقول فيه:

كذا فليكن سعي الملوك اذا سعتْ ... بها همُ العليا الى شرف الذكر
نهضتم بأعباءِ الوزارةِ نهضة ... أقلْتم بها الأقدامَ من زلة العثر
حَميْتُم من الافرنج سِرْبَ خلافةٍ ... جَريْتُم له مجرى الأمان من الذعر[3]

وقد اتبع الشعراء عدة أساليب في اظهار شجاعة البطل، منها ما كان مباشراً كما سبق، ومنها ما كان غير مباشر، كأن يصف قوة جيشه وكثرته ثم يلتفت الى البطل معظماً وحافزاً، من ذلك قول ابن القيسراني في مدح نور الدين:

---

(١) الخريدة، قسم شعراء الشام جـ١ ص٤٩١.
(٢) الروضتين جـ١ ق١ ص٩٨.
(٣) الروضتين جـ١ ق٢ ص٤١٤.

وجـنـدٍ كالصـقـور على صقـور ... اذا انـقـضُّـوا على الأبـطال صادوا
اذا أخْـفَـوا مكـيـدتَـهـم أخـافـوا ... وإن أبْـدَوْا عداوتَـهـم أبـادوا
وطالت أرؤسُ الاعـلاج خِصـبـاً ... فنـادى السـيـفُ قد وقـع الحـصـاد
أحـطْتَ بهـم فكـان القـتـلُ صبـراً ... ولا طَعْـن هنـاك ولا طِراد
فسرْ واسـتـوعـب الدنـيـا فتـوحـاً ... فلا هَضْـبٌ هنـاك ولا وِهـاد[1]

من ذلك، أيضاً، تصوير أسامة بن منقذ جيش طلائع بن رزيك الشاعر والقائد المصري، بلغة قوية مؤلقة تنهل من ميمية المتنبي، اذ يصف قيادته للاسطول بجيش كثيف مدرب على القتال، مما جعله ينتصر على جيش العدو في البحر والبر، يقول:

غَزَوْتـهُـمُ في البـحـر حتـى كأنـمـا ... الأسـاطيـلُ فيـه موجُـهُ المـتـلاطمُ
بفـرسـانِ بحـرٍ فوقَ دُهْـم كأنّـهـا ... على المـاءِ طيرٌ ما لهـنّ قوادم
يصرِّفُـهـا فرسـانُـهـا بأعـنـة ... جَرتْ، حيث لم تُوصـلْ بهـنّ الشـكـائـم
اذا دفـعـوهـا قلْتَ: فرسـان غارة ... «سروا بجـيـاد ما لهـن قوائـم»
يسـوقُ أسـاطيـلَ الفـرنـج اليـهـم ... حِمـامٌ، وطيْرٌ للفـرنـج أشـائـم
دمـاؤهُـمُ في البـحـر حمـرٌ سوائـحٌ ... وهـامَـهُـمُ في البـرِّ سُحْـمٌ حوائـم[2]

ولم يغفل الشعراء عن ذكر قوة الاعداء، في حالة انتصار البطل فقط، وربما بالغوا في وصف عددهم وعدّتهم ليكون الصراع أشد، فتبرز صورة البطل بوضوح أكثر. فهذا فتيان الشاغوري يصف قوة جيش صلاح الدين وكثرته وعدته فيقول:

يسـيرُ بجـيـشٍ يُرجِـفُ الأرضَ بأسُـه ... وتـبـدو لهـا في كل قطرٍ زلازلُ
خمـيسٌ له الرايـاتُ ظلٌّ، وفـوقَـهُ ... من الطير ظلٌّ يحـجـب الشـمسَ سادل
تراطَنُ فيـه العـجـم من كل جانـب ... وتـرتـجـزُ العـربُ الكـرامُ البـواسـلُ
دروعُـهُـمُ سُحْـبٌ تلوح خلالهـا ... وجـوهُـهُـمُ، فهـي البـدور الكـوامـل
هُمُ الأسـدُ إلا أن عيـصَـهُـمُ اذا ... سَروْا، مشرفـيـاتٌ وسُـمْـرٌ ذوابـل

ثم ينتقل الى جيش العدو فيصف كثرته وسلاحه اذ يقول:

ولـما أتـوْا دمـيـاط كالبـحـر طامـيـاً ... وليس له من كثـرةِ القـومِ ساحـلُ
يزيـدُ عن الاحـصـاءِ والعـدِّ جمـعُـهـمْ ... ألوفُ ألوفٍ خيـلُهُـمْ والرواحـل
رأوْا دونـهـا أُسْـدًا بأيـديـهـمُ القـنـا ... وبيضـاً رقـاقـاً أحْكَمتْهـا الصَّياقِـل..[3]

---

(١) الروضتين جـ١ ق١ ص١٤٦.

(٢) ديوان أسامة منقذ ص٢٢٦. الشكائم، ج شكيمة وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام. والسّحم: السود.

(٣) ديوان فتيان الشاغوري ص٣١٧، ٣١٩.

وبما أن البطل هو الشخصية الأساسية في المعركة فلا نستغرب أن يسلط الشعراء الاضواء عليه، فلم يسمحوا لشخصية الجيش بأن تطغى عليه. وإن وصفوا الجيش فما ذلك الا لتعظيم قوة البطل تعظيماً لا يُنقص من قيمة الجيش وقدرته. لذلك، كثيراً ما نجد الشواهد الشعرية تفرد للقائد البطل صورة متميزة عن جيشه، وتجعل شجاعته وقيادته من أسباب قوة الجيش وعاملاً من عوامل النصر. يقول ابن النبيه مادحاً الملك الأشرف موسى:

القائدُ الجيشَ كالبحر الخضمِّ وما ... أمواجُه غيرَ صِيدٍ أو صناديد
شُوسٌ اذا اعتقلوا المُرَّانَ خِلْتَهُمُ ... أُسْداً تأبطن أمثال الأساويد
تَجْلُو لهم في ظلامِ النقع غرَّتُه ... مواقعَ الطَّعْن من نحْرٍ وتوريد
وتستعير مواضيهم عزائمهُ ... فما يدعن وريداً غير مورود[1]

بل بالغ بعضهم في تعظيم القائد فجعله يحل محل الجيش أو يقوم مقامه، كما يتضح من قول ابن القيسراني في نور الدين حين قضى نهائياً على الوجود الصليبي في منطقة الرها، وأسر جوسلين زعيمهم:

يقومُ مقامَ الجيشِ فيها وعيدُه ... وتفعلُ أفعالَ الكتائب كُتْبُه[2]

فإن كان وعيده يقوم مقام الجيش فكيف سيكون الحال عند حضوره شخصياً؟! لهذا ألح الشعراء على قصر الشجاعة على البطل وحده، فهو فارس الفرسان غير مشارك في الفضل كما يقول العماد في نور الدين:

يا غالبَ الغُلْبِ الملوكِ وصائدَ الصِّيدِ الليوثِ وفارسَ الفرسان
محمودُ المحمودُ ما بين الورى ... في كلِّ إقليم بكلِّ لسان
يا واحداً في الفضل غيرَ مشارك ... أقسمْتُ ما لك في البسيطة ثان[3]

أو هو الفاتح العظيم الذي لولاه ما أُخْرِج الفرنج أو هزموا، كما يقول الرشيد النابلسي في صلاح الدين حين فتح طبرية وحرر بيت المقدس:

لقد فتحْتَ عصياً من ثغورهمُ ... لولاك ما هُدّ من أركانها حجر[4]

أو هو المتفرد بكل شيء عظيم سام، كما يقول ابن سناء الملك فيه أيضاً:

قدْ ملكْتَ البلادَ شرقاً وغرباً ... وحويْتَ الآفاق سهلاً وحَزْنا
وتفرَّدْتَ بالذي هو أسمى ... وتوحَّدْتَ بالذي هو أسنى[5]

---

(١) ديوان ابن النبيه ص٦٣. المُرّان: الرماح الصُّلبة اللُّدْنه. واحدته مُرّانة.
(٢) الروضتين جـ١ ق١ ص١٨٨.
(٣) الخريدة بداية قسم الشام ص٥٣ والمصدر السابق ص٥٢٩.
(٤) د. عبدالجليل عبدالمهدي، بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية ص١٧٤.
(٥) ديوان ابن سناء الملك، ص٣٤٣.

وليس من الغريب أن نجد الشاعر يقصر الشجاعة والقوة على بطل ثم ما يلبث أن يصف بطلاً آخر بالتفرد بالبطولة، لأن الأحداث لم تقع في وقت واحد كي يقارن بينهما، ولأن الشاعر يعبر عن شعور لحظي، فلا يعتبر هذا من التناقض في موقف الشاعر. ومثال ذلك قول الرشيد النابلسي في صلاح الدين وقد مضى، وقوله في أخيه الملك العادل حين حاصر «كوكب» وخربها:

أوردت حصنك من تلك الحصون منى لولاك عز على ورّادها الصدر[1]

ومن صور تعظيم الشعراء للبطل واظهار شجاعته مقارنته بملوك عصره الذين قعد بهم الكسل والترف عن تسجيل أحدوثة طيبة، بينما أشرقت صورة البطل بأعماله المجيدة. من ذلك قول الفقيه مهذب الدين بن أسعد الموصلي في صلاح الدين مادحاً ومعرضاً بالحكام المعاصرين:

ملوك جلُّهم مغرى بظلم ومشغول بلهو أو مزاح
اذا ما جالت الأبطال ولى ويقدم نحو حائلة الوشاح
وما خضع الفرنج لديك حتى رأوا ما لا يطاق من الكفاح[2]

ومنه أيضاً قول ابن سناء الملك يعرض بحكام الجزيرة الفراتية ويمدح صلاح الدين:

أرضُ الجزيرة لم تظْفَر ممالكها بمالكٍ فَطِنٍ أو سائسٍ دَرِبِ
ممالكٌ لم يُدَبِّرْها مُدَبّرُها إلا برأيِ خصيٍّ أو بعقلِ صبي
حتى أتاها صلاح الدين فانصلحتْ من الفسادِ كما صحّت من الوَصب[3]

وحين تمت لصلاح الدين الفتوحات الكبرى سنة ٥٨٣هـ بيّن الشعراء الجهد الذي قام به، وأبرزوا صورته في مقابل صورة الملوك الذين سمعوا استغاثة المدن مدة طويلة من الزمان ومع ذلك عموا وصمّوا، كما يقول الجويني:

كم من فحولِ ملوكٍ غودروا وهُمُ خوفَ الفرنجة ولدانٌ ونسوان
استصرختْ بمَلِكْشاهٍ طرابلسٌ فخامَ عنها، وصمَّتْ منه آذان
هذا وكم ملكٍ من بعده نظر الإسلام يُطوى ويحوى وهو سكران
تسعون عاماً بلاد الله تصرخ والاسلام أنصاره صمّ وعميان
فالآن لبّى صلاح الدين دَعْوَتَهُم بأمرِ منْ هو للمِعْوان معوان[4]

وعلى النقيض من ذلك ربطوا صورة البطل المشرقة بصورة الأبطال العظام في التاريخ، فأزالوا

(١) عقد الجمان جـ١٧ ورقة ٣٣٨
(٢) الروضتين جـ٢ ص١٧.
(٣) المصدر السابق ص٤٣ وديوانه ص١٤.
(٤) الروضتين جـ٢ ص١٠٤ و خام عن القتال، وفيه، خَيْما وخِياماً، وخَيَماناً وخُيوماً: جَبُن وتراجع.

الفوارق الزمنية بين العصور ورأوها تتجمع لدى بطلهم. فهذا ابن منير الطرابلسي يرى انتصارات نور الدين شبيهة بالفتوح النبوية، اذ يقول:

نبوئُ تشبيه الفتوحِ كأنما ... أنصارُه رَجعتْ لها أنصارَها
أحيا لصرح سلامِها سلمانَها ... وأمات تحت عَمارِها عُمّارَها[1]

ويرى الجويني أن فتوح صلاح الدين الكبرى تستحق نزول آيات وقرآن لو كانت في عصر النبي، يقول:

لو أن ذا الفتْحَ في عصر النبي لقد ... تنزلتْ فيه آياتٌ وقرآن[2]

ويربطها العماد الأصفهاني بفتوح القادسية، بل بملاحم ذي القرنين، إذ يقول:

أما رأيتُمْ فتوحَ القادسيةِ في ... أكنافِ لوبيّةٍ تُجلى وذا عمرُ
والحق يَعْرِس والطغيان منتحبٌ ... والكفرُ يُطْمَس والايمان مزدهر
هذا المليك الذي بشرى النبي به ... في فتنةِ البغي للاسلام ينتصر
أنسى ملاحمَ ذي القرنين واعترفتْ ... له الرواةُ بما لم يُنْمه أثر[3]

وفي نهاية الحرب الصليبية أصبح اسم صلاح الدين الأيوبي مرجعاً ورمزاً يرتبط به الأبطال المتأخرون، من ذلك ما قاله شهاب الدين محمود في الملك الأشرف بعد طرد الفرنج من عكا وكان قد حررها صلاح الدين الأيوبي ثم سقطت بأيدي الفرنج حتى عصر الممدوح:

لبيته يا صلاح الدين معتقداً ... بأن ظنَّ صلاح الدين لم يخب
أدركت ثأرَ صلاح الدين إذ غضبتْ ... منه لسرٍّ طواه الله في اللقب[4]

وقد اعتبر بعض الشعراء هذا الربط بين الأبطال الممدوحين والابطال القدماء نسباً عظيماً لهم، فإن كانوا من غير العرب فقد قدموا للعروبة العزة والكرامة حتى عدّهم أبو العرب من ابنائه كما يقول ابن القيسراني في نور الدين:

تدارَكَ ملة العربيِّ ذباً ... إلى أن عدّه منه مَعَدُّ[5]

ويقول شهاب الدين محمود في الأشرف خليل الذي أعز دين النبي العربي:

الحمد لله زالت دولةُ الصلبِ ... وعزَّ بالتركِ دينُ المصطفى العربي[6]

---

(١) الروضتين جـ١ ق١ ص١٦٠.
(٢) المصدر السابق جـ٢ ص١٠٤ وانظر ص١٠٥ قول محمد بن اسعد الحلبي الجواني.
(٣) المصدر السابق ص١١٦، انظر أمثلة أخرى ص١٠٣ وديوان ابن دنينير ورقة ٢ ـ ٣.
(٤) ابن كثير. البداية والنهاية جـ١٣ ص٣٢٣.
(٥) الروضتين جـ١ ق١ ص٤٨. وانظر كتاب د. محمود ابراهيم: صدى الغزو الصليبي.. ص١٥٧.
(٦) البداية والنهاية جـ١٣ ص٣٢٣.

ولكن بعض الشعراء أخذ عليهم الفرح كل مأخذ، فجعلوا البطل أوحد زمانه في التاريخ، فلم يصل الى رتبته بطل سابق ولا ضاهى فتحه فتح آخر. فكثيراً ما نجد ظاهرة تعظيم الفتح بجعله «فتح الفتوح» أو «هو الفتح» مرتبطة بالفتوح المهمة أو المعارك الحاسمة. فهذا ابن منير الطرابلسي يهنىء عماد الدين زنكي بفتح الرها سنة ٥٣٩هـ ويجعله مُنْسياً لكل فتح سبق، يقول:

هو الفتح أنسى كلَّ فتح حديثُه ... وتوج مسطور الرواية والنقل[١]

ولم تلبث أن عادت للفرنج بعد اغتيال عماد الدين، فأعاد نور الدين تحريرها، فهنأه الشاعر نفسه جاعلاً فتح الرها أعظم من فتح عمورية، يقول:

وقد روى الناسُ أخبارَ الكرامِ مَضَوْا ... وأين مما رَوَوْه ما رأيناهُ
أين الخلائفُ عن فتحٍ أتيحَ له ... مُظَلِّلٍ أُفُقَ الدنيا جناحاه
فتحٍ أعاد على الاسلام بهجته ... فافترَّ مَبْسمُه واهتز عِطْفاه
يهذي بمعتصم بالله، فَتْكَتُه ... حديثُها نَسَخَ الماضي وأنساه
إن الرها غيرُ عموريةٍ وكذا ... مَنْ رامها ليس مغزاه كمغزاه[٢]

ويقول من قصيدة أخرى مقرراً أن هذا الفتح يشكل معاني جديدة لا يملك أبو تمام الطائي تجاهلها ولا الطبري المؤرخ:

لو لاح للطائي غُرَّةُ فتحه ... باءتْ بحملِ تأوهٍ باءاته
أو هبّ للطبري طيبُ نسيمه ... لاحتشّ من تاريخه حَشَواته[٣]

ويقسم الرشيد النابلسي على أن فتوح صلاح الدين الكبرى لم يُحْكَ مثلها في سالف الأيام، فيقول:

بمثل ذا الفتحِ لا والله ما حُكِيَتْ ... في سالفِ الدّهر أخبارٌ ولا سِيَرُ[٤]

وكلما كان الصراع أشد، وضغط الاعداء وقوتهم أكثر، بحيث يأتي النصر بعد جهد كبير وكأنه حلم يتحقق يجد الشعراء مذاقاً خاصاً لهذا الفتح ونشوة تجعلهم يعظمونه تعظيماً يفوق أيام بدر وأُحُد وحنين، من ذلك قول ابن دنينير في تخليص الملك الكامل لدمياط من براثن الفرنج:

ما يومُ بدرٍ بأعلى منه أو أُحُدٍ ... ولا حُنَيْنٍ، وإن عدّوا وإن شهروا[٥]

(١) الروضتين جـ١ ق١ ص٨٣.
(٢) المصدر السابق ص٩٩.
(٣) المصدر السابق ص١٥٦.
(٤) بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية ص١٧٤.
(٥) ديوان ابن دنينير، ورقة ١٤ ـ ١٥.

ويبدو أن هذه النشوة الغامرة جاءت بعد فترة جهاد طويلة يحددها الشاعر البهاء زهير بثلاثة أعوام وأشهر، لهذا كان تعبيره عن النصر بقوله:

فللّه يومُ الفتحِ يوم دخولها ... وقد طارت الأعلام منها على وكر
لقد فاقَ أيامَ الزمانِ بأسرها ... وأنسى حديثاً عن حُنينٍ وعن بدر[1]

وما هذه المبالغات الا لتعظيم الفتح والفاتح.

ومن الصور غير المباشرة لبيان قوة البطل وشجاعته مقدرته على اخضاع العدو واذلاله. وقد تفنن الشعراء في رسم صورة العدو مهاناً وقرنوها بمقابلات رائعة للبطل المسلم. من ذلك قول ابن منير في مدح نور الدين:

خَنَسَ الثعالبُ حين زَمْجر مُصْحِر ... مَلأ البلادِ هماهِماً وزئيرا[2]

وحين انتصر عليهم صلاح الدين في يوم حطين أُسر منهم ثلاثون ألفاً، يقول فيهم العماد: «وأما من أُسر فلم تكف أطناب الخيم لقيده وشده، ولقد رأيت في الحبل الواحد ثلاثين وأربعين يقودهم فارس، وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس» وقد بلغ ثمن الأسير بدمشق ثلاثة دنانير[3].. وفي ذلك يقول شعراً:

سبايا بلادُ الله مملوءةٌ بها ... وقد شُريتْ بَخْساً وقد عُرضتْ نخسا
يُطاف بها الأسواقُ لا راغباً لها ... لكثرتها، كم كثرةٍ تُوجبُ الوكسا[4]

وبعد فترة وجيزة جاءتهم نجدات حاولوا بها استرجاع القدس، فقال فيهم الرشيد النابلسي:

وَيْحَ الفرنجةِ بل ويل أُمِّهِمْ أوَ ما ... فيهم لبيبٌ على العلاتِ يعتبر
فكم نثَرْتَهُمُ ضرباً اذا انتظموا ... وكم نظَمْتَهُمُ طَعْناً اذا انتثروا
كم قد سقيتهُمُ ذلاً فلا عجب ... إن عربدوا سفهاً فالقوم قد سكروا
إن يمّموك فلا بدع لجهلهمُ ... تسعى الى الأسْد في آجامها الحُمُرُ[5]

ولم يفرق الشعراء بين جيش الفرنج وقائدهم فكلهم سواء في المذلة. وإن خصوا قوادهم بالاستهزاء

(١) ديوان البهاء زهير ص١٢٤، ومفرج الكروب جـ٤ ص١٠٣.
(٢) الروضتين جـ١ ق١ ص١٦٣.
(٣) الروضتين جـ٢ ص٧٨ ـ ٨٢.
(٤) المصدر السابق ص١٠١.
(٥) المصدر السابق ص١٩٤.

أحيانا، فما ذاك الا للتشفي بهم بعد عهود من الغطرسة. من ذلك قول ابن سناء الملك يمدح صلاح الدين في انتصاره على ملك الفرنج في بانياس:

مَضى مَلْكُهم في أوّلِ الأمر هارباً ... يَحُسُّ قَفاه، الطعنُ فيه ولا طعنا
وما زال أعمى العينِ والقلب فانثنى ... وقرعُ العوالي قد أصمّ له الأذْنا
وقد أنِفَتْ منه المَواضي لَجُبْنه ... فلمّا نجت حَوْباؤه شكرَ الجبنا[1]

وقال في الامير أرناط صاحب الكرك التي كانت شوكة في حلوق المسلمين، ومنها اعتدى أميرها على قافلة المسلمين، وحاول غزو قبر الرسول، فنذر صلاح الدين قتله بيده إنْ أمكنه الله منه:

يا يومَ حطينَ والأبطالُ عابسةٌ ... وبالعجاجة وَجْهُ الشمس قد عَبَسا
رأيتَ فيه عظيمَ الكفرِ محتقراً ... مُعَفَّراً خدُّه، والأنْفُ قد تعسا
يا طُهْر سيفٍ برى رأس البِرنْسِ فَقَد ... أصابَ أعْظَمَ مَنْ بالشرك قد نَجُسا
وغاصَ إذ طار ذاك الرأسُ في دمه ... كأنّه ضِفْدَعٌ في الماءِ قد غطسا[2]

ومن المواقع التي خسر فيها الفرنج أعداداً كثيرة معركة دمياط، فقد كثروا فيها وظنوا أنهم لن يخرجوا منها، ولكن مجيء الملك الصالح أيوب بن الكامل ثم ابنه توران شاه بعد موته خيب تلك الظنون، فقُتل منهم وأُسر وجُرح خمسون ألفاً، وكان من الأسرى الملك لويس التاسع ملك فرنسا الذي تم حبسه مدة في بيت ابن لقمان ووُكِّل به خادم يسمى صبيحاً، وبعد أن دفع فدية كبيرة أطلق سراحه. وعلم المسلمون أنه يعد جيشاً ليثأر لتلك الواقعة، فقال ابن مطروح:

قُلْ للفرنسيس إذا جئته ... مقالَ صدق من قؤولٍ فصيحْ
قد جئْتَ مصراً تبتغي أخْذَها ... تَحْسَبُ أن الزَّمرَ، يا طبلُ، ريح
فساقك الحينُ الى أدهم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح
رُحْتَ وأصحابك أوْدَعْتهم ... بقبحِ أفعالِك بطنَ الضريح
خمسون ألفاً لا يُرى منهم ... الا قتيلٌ أو أسيرٌ جريح
فردَّك الله الى مثلها ... لعلّ عيسى منكم يستريح
وقل لهم إن أضمروا عَوْدةً ... لأخذِ ثأرٍ او لقصدٍ صحيح
«دارُ ابن لقمان على حالها ... والقيدُ باقٍ، والطواشى صبيح»[3]

---

(١) ديوان ابن سناء الملك ص ٧٥٤.

(٢) الروضتين جـ٢ ص٨٣.

(٣) ديوان ابن مطروح ص١٨١ وانظر المختصر في تاريخ البشر جـ٣ ص١٨٢.

لقد لاحظنا من قبل كيف قدم الشعراء صورة الفرنج وهم أقوياء، وأنهم لم يعرفوا الخوف «وما ضعفوا يوماً وما لانوا»، وهنا نرى أنهم وصفوا بالجبن: فهل من تناقض؟ والحقيقة ان الصورتين المتناقضتين ظاهراً تفضيان في الواقع الى نتيجة واحدة، وتلتقيان في صورة البطل المسلم. فهم أقوياء والبطل ـ مع ذلك ـ انتصر عليهم، وهم ضعفاء جبناء خوفاً من البطل، بل إن الشعراء جعلوا انتصارهم على المسلمين أمراً تافهاً عابراً، سرعان ما تتعدل كفة الزمان فتشيل كفّتهم وينهزمون. لذا نجد ظاهرة التهوين من انتصارهم والتقليل من شأنهم عند النصر ركيزة بنى الشعراء أفكارهم عليها في مثل هذه الظروف. من ذلك قول ابن الدّهان يعتذر عن كسرة نور الدين تحت حصن الأكراد، معتبراً انتصارهم مكراً أو خديعة تتفق مع أخلاق الجبناء:

وما يعيبُك ما نالوه من سَلَبٍ ... بالخَتْل، قد تُوتَرُ الآساد بالحيل
وإنما أخلدوا جُبْناً الى خِدَعٍ ... إذ لم يكن لهمُ بالجيشِ من قِبَل
بني الأصافر، ما نلتم بمكركم؟ ... والمكر في كل انسان أخو الفشل..[1]

ب ـ الصبر وحسن الرأي:

ولا بد لهذه الشجاعة والقوة من صبر وحسن رأي، أما الصبر فيأتي لتفرغ هؤلاء الأبطال لإعلاء كلمة الله وإعادة الأرض المغتصبة. ومن ذلك ما ترويه كتب السير والتاريخ عن صبر هؤلاء الابطال وتحملهم المشقات في سبيل الله، فتراهم ينتقلون من بلد الى آخر لتوحيد الأمة وتجهيز الجيش، حتى اذا دارت رحى الحرب صبروا أياماً لا يستريحون، وربما يستمر الحصار شهوراً أو سنوات فلا يريمون[2]. من ذلك ما ورد في وصف البهاء زهير للملك الكامل حين طرد الفرنج من دمياط، يقول:

ثلاثة أعوامٍ أقمت وأشهرا ... تجاهدُ فيهم لا بزيدٍ ولا عمرو
صبرتَ الى أن أنزلَ الله نصرَه ... لذلك قد أحمدتَ عاقبة الصبر[3]

واكثر من ذلك صبرهم على الحرب وهم مرضى، فلم يقعدهم ذلك عن مواصلة الحرب أو الاشراف عليها. ومن طُرفِ ذلك ما يرويه ابن شداد عن مشاهداته لصلاح الدين وهو بمرج عكا، اذ كان «على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دماميل، كانت ظهرت عليه من وسطه الى ركبتيه، بحيث لا يستطيع الجلوس، وانما يكون متكئاً على جانبه ان كان بالخيمة، وامتنع من مدّ الطعام بين يديه لعجزه عن الجلوس، وكان يأمر أن يفرَّق على الناس. وكان مع ذلك قد نزل بخيمة الحرب قريباً من العدو، وقد رتب الناس ميمنة وميسرة وقلباً تعبية القتال، وكان مع ذلك كله يركب من بكرة النهار الى صلاة الظهر يطوف

(١) الخريدة، قسم شعراء الشام جـ٢ ص٢٨٩.
(٢) انظر الروضتين جـ١ ص٣٠ وما بعدها، والنوادر السلطانية ص٢١ وما بعدها.
(٣) ديوان البهاء زهير ص١٢١.

على الاطلاب (قائدو الكتائب) ومن العصر الى صلاة المغرب، وهو صابر على شدة الألم وقوة ضربان الدمامل، وأنا أتعجب من ذلك، فيقول: اذا ركبت يزول عني ألمها حتى أنزل..»[1].

وأما حسن الرأي فهو السلاح المعنوي الفتاك الذي يجعل من الجيش الحقيقي جيشاً آخر يسبق الجند الى المعركة ويسيطر على الاعداء، بل يرى ابن القيسراني أن سهام الرأي قد تخترق سد ذي القرنين، إذ يقول:

مصيبُ سهامِ الرأي لو أنّ عَزْمَه ... رمى سَدَّ ذي القرنين أصمى سداده
فقل لملوك الكفر تُسْلِمُ بعدها ... ممالِكَها، إن البلادَ بلاده[2]

ويعدّ العماد الرأي قبل الشجاعة اذ يقول:

وَهزَمْتَهمْ بالرأي قبل لقائهم ... «والرأيُ قبل شجاعة الشجعان»[3]

ويجعل ابن النبيه الرأي يصل الى الأماكن البعيدة ويحدث أثراً كبيراً في المعركة، يقول في مدح الملك الأشرف:

أصَبْتَهمْ بسهامِ الرأيِ من حَلَبٍ ... وللمكائدِ من بُعدٍ إصابات[4]

فاذا اجتمع للشجاعة حسن الرأي والصبر تتولد حينئذ صورة جديدة للبطل، وهي هالة من الرعب تكتسح جيش الاعداء. وقد أحس الشعراء مع توالي الانتصارات أن قوة البطل واسمه، بالاضافة الى بلائه أخذت تحدث مفعولاً معززاً لجيشه ومدمراً لجيش العدو. فما أن يذكر اسم البطل في جيش العدو حتى يتخيل كل واحد أنه سيقع في الأسر. يقول الحكيم أبو الفضل الجلياني في صلاح الدين:

كم قد أعدّوا، وكم قد فُلّ جمعُهُمُ ... من غير ضرْبٍ ولا طَعْنٍ يُزيِّله
وإنما اسمُ صلاح الدين يذكرُ في ... جيشِ العدوِّ فيُسْبيهم تخيّله[5]

ومن ذلك قول العماد فيه:

هزَمْتُمْ جنودَ المشركين برُعْبكمْ ... فلَمْ يلبثوا خوفاً ولم يمكثوا ذُعْرا[6]

ويبالغ ابن سناء الملك فيما يحدثه البطل من خوف في عساكر الاعداء فيجعل الجبال تخر خوفاً وتندك رعباً، يقول:

---

(١) النوادر السلطانية ص ٢٤.
(٢) الروضتين جـ١ ق١ ص٩٧.
(٣) المصدر السابق ص٥٢٩
(٤) ديوان ابن النبيه ص٥٥.
(٥) الروضتين جـ٢ ص١٥١.
(٦) المصدر السابق جـ١ ق٢ ص٥٢٩.

يؤمُّ العِدى في عسْكرٍ من جنوده وقد سبقت أخباره في عساكر
تخرُّ الجبالُ الشمُّ خوفَ خيولِه وتندكّ رعباً قبل وقع الحوافرِ[1]

جـ ـ العمل على التوحيد والتحرير:

من المؤكد أن الشعراء، قد نبّهوا الى مخاطر الوجود الصليبي في الديار الاسلامية منذ الحملة الأولى، وحضوا القادة والحكام على مواجهة الفرنج واستئصال شأفتهم.. ولكنهم في المرحلة الاولى (ما قبل عماد الدين زنكي) لم يروا فيهم سوى عداوة الروم التقليدية الخبيثة التي يمكن للقائد أو الحاكم المحلي هزيمتها وحده أو بمساعدة جيرانه، فامتدح الشعراء حكام الامارات المحلية وأثنوا عليهم. إلا أن الأيام أثبتت أن ما يجري ليس حرباً محلية بين قائد رومي وقائد مسلم كالذي كان يجري بين الحمدانيين والروم مثلاً، وإنما هو صراع ديني حضاري يستهدف تغيير خارطة المسلمين ووجودهم، ولمسوا أن البطل القائد يسعى جاهدا لضم الولايات والأقاليم ليكوّن قوة موحدة يصارع بها الفرنج، وبذلك انفتحت أعينهم على الواقع المخزي لحكام الممالك الذين شغلوا أنفسهم «بلهو أو مزاح» وأداروا ممالكهم «برأي خصيّ أو بعقل صبي»[2].

والحقيقة أن كتب التراث لم تقصر في وصف الجهد الشاق الذي بذله الأبطال العظام أمثال عماد الدين زنكي وابنه نور الدين، وصلاح الدين الايوبي وغيرهم لتوحيد العالم الاسلامي، بما يتلاءم مع واقعهم، توحيداً يكفل لهم الوقوف أمام المعتدين، لا الغطرسة والاعتداء على الامارات الاسلامية من اجل المال أو الجاه، فلم يكونوا يتوقفون عند مبلغ من المال أو رقعة من الأرض، بل كانوا يواصلون جهدهم لاقناع المواطنين بهدفهم وسلوكهم، وبذلك تستقيم لهم القاعدة الشعبية وترحب بهم، وتساعدهم على خلع اولئك الظالمين الذين يقفون في وجه هذا النهار. ولا ينفك هؤلاء الأبطال في أثناء ذلك وبعده يعملون دائبين ضد الغزاة الفرنج، ويسجلون بعض الانتصارات.. ولهذا صرنا نجد التهاني والمدائح الشعرية تصل الى الممدوح (البطل) من أماكن شتى ولم تقتصر على الشعراء المحليين[3].

وللتدليل على الجهد الشاق الذي بذله الأبطال، يكفي أن ننظر في النص التالي من الروضتين يتحدث عن همة عماد الدين زنكي وتحمله المشاق، يقول: «ثم شرع زنكي ـ رحمه الله ـ في أخذ البلاد؛ فافتتح جزيرة ابن عمر ثم مدينة اربل في رمضان سنة اثنين وعشرين (وخمسمائة للهجرة) ثم عاد الى الموصل وسار في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين الى سنجار فتسلمها وسير منها الشحن الى الخابور فملكه، ثم قصد الرحبة فملكت قسراً، ثم افتتح نصيبين وسار الى حرّان، وكانت الرها وسروج وغيرهما من ديار الجزيرة للفرنج ـ لعنهم الله ـ وأهل حران معهم في ضيق عظيم، فراسلوا زنكي بالطاعة واستحثوه على الوصول اليهم ففعل وهادن الفرنج مدة يسيرة يعلم أنه يفرغ فيها من الاستيلاء على ما بقي له من البلاد

(١) ديوان ابن سناء الملك ص١١٩.
(٢) انظر ما فات في هذا البحث من مقارنة البطل بملوك عصره (ص٩).
(٣) انظر الروضتين جـ٢ ص١٠٣ و ١٠٤ ١٠٥.

الشامية والجزرية، وكان أهم الأشياء عنده عبور الفرات وملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية، فلما عبر الفرات ملك مدينة منبج وحصن بزاغة وحاصر حلب، ثم فتحت له فرتب أمورها وسار عنها الى حماة فملكها وقبض على صاحب حمص وحصرها وذلك سنة ثلاث وعشرين، وفي سنة أربع وعشرين اتفق صاحب آمد مع صاحب حصن كيفا وغيرهم من الملوك وجمعوا عساكر نحو عشرين ألفا وقصدوا زنكي فلقيهم فهزمهم وملك سرجة ودارا، ثم صمم على الجهاد فنازل حصن الاثارب ـ وكان أضر شيء على أهل حلب ـ فجمع الفرنج جمعاً عظيماً فهزمهم وقتلهم مقتلة عظيمة، بقيت عظام القتلى بتلك الأرض مدة طويلة ثم رجع الى الحصن فملكه عنوة، فأخربه ومحا أثره، وأزال من تلك الارض ضرره..[1].

وازاء هذا الواقع الجديد ارتسم بُعد جديد لصورة البطل هو العمل على التوحيد والتحرير، بالاضافة الى الابعاد التقليدية من شجاعة وكرم وحسن رأي وصبر.. وانفتح للشعراء مرتكز فكري آخر أخذوا يدعون اليه ويغرون الابطال به، وبخاصة اذا كانت تلك الممالك تقف حائلاً دون مهاجمة الفرنج أو أن حاكمها يتعاون معهم. فهذا ابن منير الطرابلسي يثير نور الدين زنكي ضد حاكم دمشق مجير الدين لاتصالاته مع الفرنجة، فيقول:

وقُلْ لمبير الدين، وهو مجيرُه ... بزعم له، وَجْهُ الحقيقة أربَدُ
حَملتْ الصليبَ باغياً، ونَبَذْتَه ... وثغْرُك مطووس النبات وأدرد
وحاربْتَ حزبَ الله، والله ناصرٌ ... لناصره، وديْنُ أحمدَ أحمدُ
تنصّرت حيناً، والبلاءُ موكَّلٌ ... ولا بدَّ من يوم به تتهود

ثم يغريه به بكل وضوح ليحرر دمشق أولاً وقبل القدس، لأنها مركز الانطلاق وطريق التحرير، وكل ما يدور في فلك المركز يتبع له:

دمشق، دمشقَ: إنما القدس سرحة ... ومركزها صرح عليها ممرد
متى أنا راءٍ طائر الفتح صادحاً ... يرفرف في أرجائها ويغرد؟![2]

وحين أخذت دمشق دورها الصحيح، تشوّف الشعراء الى ضم مصر لكي تشكّل معها فكين يطبقان على المحتلين. يقول العماد الاصفهاني مهنئاً نور الدين بملك مصر ومبيناً أهمية توحّدها مع الشام:

بمُلْكِ مصرَ أهنني مالك الأمم ... فاسعد وأبشر بنصر الله عن أَمَم
تمكَّن الرّعبُ في قلب العدو بها ... تمكُّن النار بالاحراق في الفَحَم[3]

(١) الروضتين جـ١ ص٣٠ ـ ٣٢.

(٢) المصدر السابق جـ١ ق١ ص١٩٧. مطووس من طاس الشيء: داسه ووطئه وكسره. أدرد: ساقط الاسنان بمعنى أن وجهه أصبح قبيحاً لخيانته الاسلام والمسلمين.

(٣) الروضتين جـ١ ق٢ ص٤٤٣.

ثم يهنىء حاكمها الفعلي صلاح الدين، ويحرضه على تأجيج نار الحرب لطرد الغزاة، إذ يقول:

ولما صبَتْ مصرُ الى عصر يوسفٍ أعادَ اليها الله يوسفَ والعصرا
فصُبّوا على الافرنج سوطَ عذابها بأن تَقْسِموا ما بينها القتلَ والأسرا
ولا تُهملوا البيتَ المقدسَ واعزمُوا على فتحه غازين، وافترعوا البكرا[1]

ولولا ضرورة البقاء في مواجهة المحتلين لاتسعت همة الأبطال الى توحيد البلاد الاسلامية، كما يقول العماد في صلاح الدين:

لم تله عن باقي البلاد وإنما ألهاك فرضُ الغزو عن همذان[2]

لأن همة البطل تسمو عن المال والجاه والأشياء الأرضية، وتحلق، حسب شموخها، في السماء ونورها، وتستعذب الموت حتى تنال ذلك العطاء السماوي، كما يقول عمارة اليمني في صلاح الدين أيضاً:

رأيتك لم تقنع بمنصبك الذي علا، فنجوم الأفق عنه سفال
فباشرت مكروه الوغى في مواطن حرام المنايا بينهن حلال[3]

د ـ الفتوة والفروسية:

ومن الصور الفريدة التي طورها الشعراء للبطل من التراث الشعري صورة الفتوة التي يجتمع فيها كل صفات النخوة والحماسة والقوة والشجاعة والغيرة.. فوصف الشعراء البطل بأنه فتى يصول ليحمي الدين كما يقول ابن القيسراني:

وهل يمنعُ الدينَ الا فتىً يصولُ انتقاماً فيستأصل؟[4]

ولا تعني الفتوة الحداثة والتهور وقلة التجربة، بل هي مرحلة الاكتمال الجسمي والعقلي والخلقي التي تهب صاحبها قوة واندفاعاً وسعياً حثيثاً لتحقيق الأهداف السامية، كما تهبه ليناً ورحمة وسعة صدر، وبذلك ترتسم للبطل صورة رائعة مشرقة ملونة بأزهى الألوان والأبعاد، تنتج عن تلك الثنائيات الضدية؛ فهو جاد وحازم، وهو حازم للعدو لائذ بالله، مرعب لهم مُطْمَئن ومُطَمْئن لجيشه.. من ذلك ما جاء في مدح شرف الدين الانصاري لسيف الدين بن أبي علي الآمدي اذ يقول:

أما الفرنج، فقد مزّقتَ شمْلَهمُ بجدٍّ معتزمٍ بالحزم مشتملِ
فكم كشفْتَ خفايا من مكايدهم رَفَلْت من أجرهِ والشكر في حُلل
وكم أحَلْتَ إلى هون إباءهمُ الله أكبر، لولا أنت لم يَحُلِ
وكم خميس به لم تُبقِ من أجد منهم سليماً من البأساء والغيل

(١) المصدر السابق ص٤٥٤.
(٢) في أدب مصر الفاطمية. ص٢٧٣.
(٣) الخريدة، بداية قسم الشام ص٥٣.
(٤) الخريدة، قسم الشام جـ١ ص١٠٨.

قتلاً وأسراً، وصَرْفاً رُدَّ سائلهم ... في قبضة اليتم والتأثيم والثكل
يعز جيشك والهيجاء جائشة ... رعباً، وتأمن والألباب في وَهَل
أنت الفتى لم يرعْك الغي عن رَشَد ... ولا شريت هموم الملك بالجدل[1]

فهو مع قوته التي مزق بها شمل الفرنج ضعيف أمام الله يرجو الأجر، ويسعى لإرضائه، وهو الذي أذاقهم الهوان والرعب في حين كان آمناً يحقق العزة والنصر لجيشه، وهو الفتى الذي تسلم القيادة راشداً وسعى بالعمل والتواضع للمحافظة عليها، في حين كان غيره من الحكام يتفاخرون بالكلام.

ومع أن القوة والاندفاع من أهم خصائص الفتوة، إلا أنها لم تكن دون فلك تدور فيه أو قيد تتقيد به، بل رأى الشعراء في الأبطال غيرة على المدن الاسلامية واندفاعاً لحمايتها أو تحريرها. لذلك أحدثوا علاقة حميمة ومثيرة بين البطل من جهة، والمدن المحتلة أو التي تحت سيطرة الحكام المسلمين الذين يقفون في وجه البطل من جهة أخرى، فصوّروا هذه المدن المهمة بالفتاة الجميلة التي حاولها ذوو الهيبة والملك، ولكنها لم ترض الا بالكفء. أمّا مثال المدن الاسلامية فهو قليل لأن تيار التوحيد جرف أمامه كل العقبات، ومن ذلك تصوير ابن القيسراني لدمشق التي وقع في هواها نور الدين فاستجابت له وأحبته، ورفضت ولاية مجير الدين. يقول:

خطبْتَ فلم يحجبْكَ عنها وليها ... وخطب العلا بالسيف ما دونه سترُ
جلاها لك الإقبال حوريةَ السنا ... عليها من الفردوس أرديةٌ خضرُ
خَلوبٌ، أكنّت من هواك محبّة ... نَمتْ فانتمت جهراً، وسرُّ الهوى جهر
فَسُقتَ اليها الأمنَ والعدلَ نحلةً ... فأمستْ ولا أسرٌ تخاف ولا إصر
وهل هي الا كالحصان تمنّعت ... دلالاً، وإن عزّ الحيا وغلا المهر[2]

وأما المدن المحتلة وتعلّقها بالبطل فهي ظاهرة أدبية أكد عليها الشعراء ليحركوا النخوة الكامنة فيه ويستثيروها كي يواصل الجهاد، وليؤكدوا قوة البطل وفتوته. فقد صوّروا المدن المحتلة قبل تحريرها كالغادة البكر التي تبحث عن كفء، فيغرى الشاعر البطل بأخذها لأنه الكفء الوحيد لها، كما أغرى المظفر تقي الدين عمر صلاح الدين بفتح القدس، إذ يقول:

جاءَتْك أرضُ القدس تخْطبُ ناكحاً ... يا كفأها، ما العذرُ عن عذرائها
زُفَّتْ اليك عروس خدر تُجتلى ... ما بين أُعْبُدِها وبين إمائها
إيهٍ صلاح الدين، خُذْها غادة ... بكراً، ملوكُ الأرض من رقبائها
كم خاطبٍ لجمالها قد رَدّه ... عن نَيْلها أنْ ليس من أكفائها[3]

(١) ديوان شرف الدين الانصاري ص ٤٠٠.
(٢) الروضتين جـ١ ق١ ص١٨٥.
(٣) الخريدة، بداية قسم شعراء الشام ص٨٥ ـ ٨٦.

وصوّروا المدن المحتلة قبيل تحريرها فتاة حصينة متمنعة تستعصي على الفاتحين، ثم يقدم الشاعر البطل ليضفي عليه صفات الفتوة والقوة التي تجعلها تلين. من ذلك قول ابن الساعاتي في مدينة طبرية التي حكمها الفرنج ما يزيد على تسعين عاماً ومع ذلك بقيت حَصاناً تنتظر البطل:

وما طبريةٌ إلّا هَديّ ... تَرفَّع عن أكُفّ اللامسينا
حَصانُ الذيل لم تقْذَفْ بسوء ... وسَلْ عنها الليالي والسنينا
فَضضْتَ ختامها قسراً ومن ذا ... يصدُّ الليث أن يلج العرينا
قسَتْ حتى رأت كُفْئاً فلانت ... وغاية كل قاس أن يلينا[1]

وفي مثل هذه الحالة يوجه الشعراء عناية خاصة لوصف قوة المدينة وحصانتها للتدليل على كفاية البطل، من ذلك قول شهاب الدين محمود في طرابلس:

نهَضْتَ الى عليا طرابُلُسٍ التي ... أقلُّ عناها أنَّ خندقها البحر
وقد ضمّها كالطوق إلا بقيةً ... كنحرٍ، وأنت السيفُ لاح له نحر
ممنعةٌ بكر، وهل في جميع ما ... تملكْتَهُ إلّا ممنعةٌ بكر؟
فكم مرّ من دهر وما مسّها أذى ... وكم راح من عصْرٍ وما راعها حَصْر
وكم ليثِ غابٍ رامها في جيوشه ... وغاب، ولم يُحرزْ له ظَفراً ظِفْرُ
ففاجأتَها بالجيش كالموج فانثنت ... تميد، وقد أربى على بحرها البر[2]

ولعل استعصاء هذه المدن على الفاتحين هو السبب الذي جعل الشعراء يعظمون الأبطال المعاصرين لهم ويضعونهم في مرتبة أعلى ممن سبقهم. كما جعل الشعراء يبحثون عن هذه الصور التي تعبر عن اعجابهم بالبطل، فصوّروا المدن بالفتاة الجميلة وضنوا عليها بأي رجل، وحين ملأ البطل عليهم نفوسهم وجدوه قميناً بها.

وينطبق حديث المدن على الحصون والمراقب التي جعلها الشعراء ـ وهي مذكّرة ـ كالفتاة العذراء المتزينة المثيرة، كما يقول شهاب الدين محمود في حصن المرقب:

يختالُ كالغادة العذراء قد نُظِمَتْ ... منه مكان اللآلي الأنجمُ الزهرُ
لها الهلالُ سِوارٌ والسُّها شنف ... والقلْبُ قُلْب، ومسوَدّ الدجى طرر

---

(١) الروضتين ٢ / ٨٤ وديوانه جـ٢ ص٤٠٦، وانظر قول البزاز المنبجي في طرابلس عقد الجمان جـ٢٠ ورقة ٧٢٢.

(٢) النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣٢٣ ـ ٣٢٤. وانظر قول البزاز في عكا التي حررها للمرة الاخيرة الاشرف خليل بن قلاوون:

عقيلة المدن أمست من حصانتها ... وصونها من ليالي الدهر في عقل
كم قد دعتها ملوك الأرض راغبة ... وعطفها عنهم بالتيه في شغل
صدّت عن الصيد لا تلوي فلم تطل الأوهام منها الى وصل ولم تصل

تاريخ ابن الفرات مجلد ٨ ص١١٤. وانظر ملحق رسال ماجستير الدارس بعنوان صورة الصليبيين في الادب العربي، ص٥١٠ و ٥١١ و ٥١٧.

تعلو الرياح إليه كي تحيط به خُبْراً، وتدنو وما في ضمْنها خَبَر
ويومض البرقُ يهفو نحوه ليَرى أدنى رُبَاه، ويأتي وهو معتذر[1]

ومن المؤكد أن هذه الصور الجنسية لم تكن من نتاج هذه الفترة، بل استخدمها أبو تمام في بائيته التي خصصها لفتح عمورية ومدح المعتصم. ولعل الارتباط بين الجنس والحرب ناتج عن الاهوال والمخاطر التي تسببها الحروب للجنس البشري فتهيج الفتوح والدماء صوراً من هذا النوع[2]. وذلك ما نراه عند أبي تمام من قبل وعند ابن القيسراني من شعراء الفترة، كقوله في يوم إنّب:

طهّرْتَ أرض الأعادي من دمائهمُ طهارةً، كلُّ سيف عندها جنبُ[3]

وكقوله في الرها:

فصدّت صدودَ البكر عند افتضاضها وهيهات كان السيفُ حتما سفاده[4]

هـ ـ صورة التدين:

تلك أنماط مختلفة للتعبير عن الشجاعة والقوة التي رسمها الشعراء للبطل. ومن خلال تلك الشواهد الشعرية تبين أنها لم تكن معزولة عن الدين وأهدافه. بل إن الصراع الديني ولّد في نفوس الشعراء تياراً واضحاً جعلهم يصبغون كل صفات البطولة بالقيم الدينية، فبدا واضحاً من كثرة الألقاب المضافة الى الدين أو الاسلام، مثل: عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين وحسام الدين وتقي الدين وشمس الدين وعز الدين.. وسيف الاسلام.. ولا بد أن يكون الشعراء قد أوجدوا بعض هذه الألقاب أو ـ على الأقل ـ روّجوها. فهذا ابن الصياد يمدح طلائع بن رزيك ويلقبه بسيف دين الله وفارس الاسلام. يقول:

عن سيفِ دينِ الله سَلْ أرناطا حيث المنيةُ كاسها يُتعاطى
هو فارس الاسلام يحفظُ بالظبا من دينه الأطرافَ والأوساطا[5]

ويلقب شهاب الدين محمود الملك الأشرف خليل بن قلاوون الذي فتح عكا بصلاح الدين مبيناً أن صاحب هذا اللقب هو الذي سيفتحها، فقد فتحت على يد الأيوبي ثم احتلها الفرنج وبقيت بأيديهم حتى جاء الملك الأشرف فحررها، يقول:

لبّيْتَها يا صلاح الدين معتقداً بأن ظن صلاح الدين لم يخب
أدركْتَ ثأر صلاح الدين إذ غضبت منه لسرٍّ طواهُ الله في اللقب[6]

---

(١) النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣١٧.
(٢) تحتاج هذه الظاهرة الى دراسة أوفى في الأدب العربي: بداياتها وتفسيراتها النفسية ودلالاتها..
(٣) الروضتين جـ١ ق١ ص١٥٢.
(٤) المصدر السابق ص٩٧.
(٥) الخريدة قسم شعراء مصر جـ١ ص٢٤٣.
(٦) البداية والنهاية جـ١٣ ص٣٢٣.

وأهم من ذلك إبراز الشعراء للبطل على أنه المنافح عن دين الله بعد أن كاد ينحسر عن الأرض المقدسة. وقد بقيت هذه الصفة تتكرر في ملامح البطل منذ ردة الفعل الأولى حتى نهاية الحروب الصليبية. فهذا ابن منير الطرابلسي يمدح نور الدين بإحياء الدين وتجديد عصر شابه قائلاً:

أقوى الضلالُ وأقفرتْ عرصاتُه ... وعلا الهدى وتبلّجت قسماتُه
وانتاش دينَ محمدٍ محمودُه ... من بعْدِ ما عَلَتْ دماً عبراتُه
ردّتْ على الإسلام عَصْر شبابه ... وَثَباتُه من دونه وَ ثَباتُه
أرسى قواعِدَه ومدَّ عمادَه ... صُعُداً وشيّد سُورَه سوْراتُه[1]

ويمدح سعادة الأعمى صلاح الدين لأنه غضب لدين الله فجاهد حتى فتح حصن بيت الأحزان المنيع سنة ٥٧٥، يقول:

نَصَرْتَ الهدى لمّا تخاذل حزْبُه ... فناداك حزبُ الله يا ناصر الهدى
غضبْتَ لدينٍ أنت حقاً صلاحُه ... فأُرضيْتَ ـ لمّا أنْ غضبتَ ـ محمدا[2]

ويقول فيه ابن المجاور حين فتح يافا:

أحييْتَ دينَ محمدٍ وأقمته ... وسَتَرْتَه من بعْدِ طول تكشّف
وضَبَطْتَ ديوانَ الجهاد بعاملٍ ... من عامل وبمشرف من مشرفي
وبجهبذِ العزمِ الذي لا ينثني ... وبناظرِ الرأي الذي لم يطرف[3]

والبطل ـ بالاضافة الى إقامة الجهاد والعمل على استرداد المحتل ـ يسعى للمحافظة على بقية الأماكن المقدسة، ويؤمن مصالح الناس الدينية والدنيوية، وفي هذا يقول ابو الحسن السخاوي مادحاً بعض ولد السلطان صلاح الدين متوقفاً عند مآثر السلطان في تأمين سلامة الديار المقدسة:

ومُخَلِّص البيتِ المقدس بعد ما ... رُفِعَ الصليبُ على ذراه ومُجِّدا
وبه أتى البيتَ الحرام وُفودُه ... من كلِّ فج آمنين من العدى
من بعد ما دَرسَتْ معالمُ سُبْلِه ... دهراً وعزّ لخوفها أنْ يُقْصَدا[4]

وبما أن القائد يعمل لارضاء الله ويحتسب أجره، فإن الله سخّر كل شيء لخدمته وتحقيق نصره، وبالتالي لن يضير البطل أن يخسر معركة لأنه يعلم أن العاقبة له. ومن ذلك قول طلائع بن رزيك لنور الدين حين احتل الفرنج «حارم»:

وما نحن، بالاسلام، للشرك هازمٌ ... ولكننا الايمان للكفر هادمُ
فقولوا لنور الدين ـ لا فُلَّ حدُّه ... ولا حَكَمَتْ فيه الليالي الغواشمُ ـ

---

(١) الروضتين جـ١ ق١ ص٥٦.
(٢) الروضتين جـ٢ ص١٢.
(٣) الروضتين جـ٢ ص١٠٣
(٤) المصدر السابق ص١٠٧ وانظر ديوان شرف الدين الانصاري ص١٥٦ و ١٩٥ و ٢١٧ و ٢٧٦، لمزيد من الامثلة.

تجـهَّـزْ إلى أرض العـدو ولا تهـنْ وتـظهـرْ فتـوراً أن مضـت منـك حارم

بل كانوا يعتقدون بأن الله ناصرهم ما داموا يتحلون بهذه الصفات، ويؤكد ذلك ما رواه أبو شامة عن الجلياني أنه قال: «لم أزل من أول ما ولي الملك الناصر الأمر في مصر أعلم أنه مؤيد بعناية من الله سبحانه». ثم يذكر القصائد التي تنبأ فيها بالفتوحات الكبرى[٢]. من الأمثلة الأخرى قول الجويني في فتح القدس سنة ٥٨٣هـ:

جُنْـدُ السـمـاء لهـذا المـلْكِ أعـوانُ من شكَّ فيـهـم فهـذا الفـتـحُ برهـان
للنـاصر ادُّخِـرتْ هذي الفـتـوحُ ومـا سَمـتْ له هِمـمُ الامـلاك مذ كانـوا
حبـاه ذو العـرش بالنصر العـزيـز فقـال النـاسُ داودٌ هذا أم سليـمـان[٣]

و ـ الانسان المثال:

لم يفت الشعراء أن البطل انسان يتعامل مع الناس، فأكدوا حسن تعامله مع المخلوقين كتعامله مع الخالق، فأضافوا الى صفة التقى صفة العدل، لأن الشجاعة والقوة وحسن الرأي.. على أهميتها لا بد لها من سند شعبي يغذيها ويقويها. وقد كان الأبطال عند حسن ظن الناس والشعراء بهم، لما يبدو في سيرهم من صدق، ولما سطره الشعر فيهم بحرارة. فهذا ابن منير الطرابلسي يصور الحياة في ظل نور الدين قائلا:

زَهَـرَتْ لدولتِـكَ البـلادُ، فَرَوْحُـهـا أرجُ المـهـبِّ ودَوْحُـهـا ميـاد
أحـيـا ربـيـعُ العـدل مَيْتَ ربـوعـهـا فالبـرض نجـم والهـشـيـم مراد
فالعـيش إلّا في جنـابـك ميـتـه والنـوم إلا في حمـاك سهـاد
إن المـنـابـر لو تطيـق تكـلمـاً حمـدتـك عن خطبـائـهـا الأعـواد[٤]

وما هذا الازدهار لدولته الا بالعدل الذي طبقه على نفسه أولاً ثم على الرعية ثانياً، فلم يخص نفسه بشيء من ملذات الدنيا، ولم يفرض على رعيته ما لا يستطيعون، وفي ذلك يقول ابن القيسراني:

ثنـى يده عن الدنـيـا عفـافـاً ومـال بهـا عن الأمـوال زهـد
رأى حطَّ المـكـوسِ عن الرعـايـا فأهـدرَ قبـلُ ما أنـشـاه بَعْـدُ
ومـدَّ لهـا رواق العـدل شرعـاً وقـد طوي الرواق ومـن يمـد
وبـات وعـنـد باب العـرش منـهـا لدولتـه دعـاء لا يرد[٥]

وقد صنف أبو شامة المقدسي كتابه الروضتين فيه وفي صلاح الدين، وجمع أخبارهما لما وجده فيهما

---

(١) ديوان طلائع بن رزيك ص١٤١.
(٢) الروضتين جـ٢ ص١١٥ ـ ١١٧.
(٣) المصدر السابق ص١٠٤.
(٤) الروضتين جـ١ ق١ ص٢١٢.
(٥) المصدر السابق ص٤٨ وانظر ص١٠، ١٤، ٥٠ لمزيد من الامثلة.

من صفات يوجزها بقوله: «فوجدتهما في المتأخرين، كالعمرين رضي الله عنهما في المتقدمين. فان كل ثان من الفريقين قد حذا حذو من تقدمه في العدل والجهاد، واجتهد في اعزاز دين الله أي اجتهاد» وينقل عن ابن الأثير رأيه في نور الدين اذ يقول: «قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الاسلام وفيه، الى يومنا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ولا أكثر تحرياً للعدل والانصاف منه، قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره، وجهاد يتجهز له، ومظلمة يزيلها وعبادة يقوم بها، واحسان يوليه وانعام يسديه..»[1].

والحقيقة أن هذه الصفات نجدها عند الابطال مع اختلاف العصور والأزمان، فهذا وحيش الأسدي يمدح صلاح الدين عند وصوله دمشق بعد وفاة نور الدين قائلاً:

لله أنتَ صلاحَ الدين من أسد ... أدنى فريسته الأيامُ إن وثبا
رأيتُ جِلَّقَ ثغراً لا نظيرَ له ... فجئتها عامراً منها الذي خربا
نادتك بالذل لما قلّ ناصرُها ... وأزمع الخلقُ من أوطانها هربا
أحييتها مثل ما أحييت مِصْرَ فقد ... أعدْتَ من عدلها ما كان قد ذهبا[2]

وقد رأى الشعراء أن من واجبهم تبصير البطل الحاكم بواجباته نحو رعيته، كما رأوا أن واجب الرعية ـ ما دامت تلك صفاته ـ تقديره وإطاعته. وصوروا الخروج عليه خروجاً عن الاسلام، بل ان عدم محبته دليل على عدم اكتمال الاسلام عنده كما يصور ذلك ابن منير في مدحه لعماد الدين زنكي:

ولو لم تُسلّم اليك القلو ... ب هواها لما صحّ اسلامها
أيا محييَ العدل لمّا نعاه ... أيامى البرايا وأيتامُها
ومستنقذَ الدين من أمة ... أزال المحاريب أصنامها
دلفْتَ لها تقتفيك الأسُود ... والبيضُ، والسُّمْرُ آجامها[3]

وبهذا ترك هؤلاء الأبطال ذكراً حسناً، ووجدوا تأييداً واسعاً عند الناس، وجزاء طيباً عند الله، كما قال العماد في صلاح الدين:

وبَلَغْتَ بالتأييد أقصى مَبْلغٍ ... ما كان في وسعٍ ولا إمكان
دانت لك الدنيا فقاصيها اذا ... حققته لنفاذ أمرك دانِ
فمن العراق الى الشام الى ذرى ... مصر الى قوصٍ الى اسوان
لم تَلْهُ عن باقي البلاد وإنما ... ألْهاك فرض الغزو عن همذان
أذْعنْتَ لله المهيمن إذْ عَنَتْ ... لك أوْجُهُ الأملاك بالإذعان
أنت الذي دون الملوك وَجدْتُه ... ملآنَ من عرف ومن عرفان

---

(١) المصدر السابق ص٤ ـ ٥.
(٢) الخريدة قسم الشام ١/٢٤٢ والروضتين جـ١ ق٢ ص٦٠٦.
الروضتين جـ١ ق١ ص٢٣٤.

عمـران عدلك للبـلاد كأنـمـا قد عاش في أيـامـك العـمـران
خلّدت في الآفـاق ذكـراً باقـيـاً أبـد الزمـان ببـذل مال فان[1]

وهم بهذا أسسوا مدرسة للسياسة والعلم والجهاد كما يلخص ذلك العماد الاصفهاني في رثاء نور الدين:

من للمـسـاجـد والمـدارس بانـيـاً لله طوعـاً من خلوص ضمـيره
من ينصر الاسـلام في غزواتـه فلقـد أصـيـب بركـنـه وظهـيره
مَنْ كاشـفٌ للمـعـضـلات برأيـه مَنْ مُشْرِقٌ في الداجـيـات بنـوره
أنـت الذي أحـيـيـت شرع محـمـد وقـضـيـت بعـد وفـاتـه بنـشـوره[2]

تلك هي صورة البطل: شجاع، قوي، كريم، صاحب رأي، تقي، عادل، مهتم بأمر الأمة، يشبه القادة العظام وينتسب بأفعاله اليهم ويختلف عن ملوك عصره. وهذه الصفات تتكرر وتتشابه في أبطال هذه الفتـرة جميعاً، إذ ان المقارنة بين قصيدتين[3] لشاعرين مختلفين، كابن منير الطرابلسي والعماد الاصفهاني، في بطل واحد كنور الدين، أو قصيدتين لشاعر واحد[4] كالبزاز في بطلين مختلفين مثل الملك المنصور وابنه الأشرف، أو قصيدتين مختلفتين[5] في بطلين مختلفين تعطينا عدداً من الصفات المثالية ثم تختلف فيما بينها باسم البطل وبعض الأحداث المرتبطة بالنص. وهنا يثور سؤال هو: كيف نميز بين صورة بطل وآخر؟ أو هل يمكننا تعميم شعر شاعر على أبطال آخرين؟

إن هدف الشاعر في هذه الفترة هو تمجيد البطولة والدعوة اليها لتخليص البلاد من المحتلين. وهو في سبيل ذلك لجأ الى الصفات المثالية مما نتج عنه هذا التشابه الذي نراه في صور الابطال. ثم إن طبيعة

---

(١) المصدر السابق جـ١ ق٢ ص٥٣٠.

(٢) الروضتين جـ١ ص٢٤٤.

(٣) الشاعر الأول ابن منير الطرابلسي ومطلع قصيدته هو:
بجـدك أصـحـب الجـد الحـزون وأطلع فجـره الفـتـح المـبـين
الروضتين جـ١ ق١ ص٢٠٥.
والشاعر الثاني هو العماد الاصفهاني ومطلع قصيدته هو
عقـدت بنصرك رايـة الايـمـان وبـدت لعصرك آيـة الاحـسـان
الروضتين جـ١ ق١ ص٥٢٩.

(٤) مطلع قصيدة البزاز الاولى:
أدركـت بالجـد أقصى غايـة الطلب ونـلت بالجـد أعـلى منـتـهـى الرتـب
عقد الجمان جـ٢٠ ورقة ٧٢١.
والثانية:
بلغـت في المـلك أقصى غايـة الأمـل وفُـتَّ شأو ملوك الأعصر الأول
تاريخ ابن الفرات مجلد ٨/ ١١٤.

(٥) يمكن الحصول على ذلك من مجموع الحاشية الأولى والثانية.

الأحداث العامة المتشابهة التي عاشها هؤلاء الأبطال في صراعهم مع العدو الصليبي ألقت بظلالها على صورهم، فالبطل يسعى جاهداً لتوحيد الأمة وتجهيز الجيش والقيام بأعمال دفاعية وهجومية، والفرق في دور الأبطال وبينهم منذ ظهور الصليبيين الى انتهاء أمرهم ضئيل جداً، ولاسيما أن الشعراء لم يحفلوا كثيراً بالصفات الدقيقة للبطل أو بصفاته الجسمية وهيئته الدالة عليه، وانما ارتبطت صورهم بالمعنويات التي يجتمع عليها المشهورون من الناس بله الأبطال، وإن اهتموا بالأمور المادية التي تتعلق بالبطل فانما هي لتعزيز الصور المعنوية.

على أن امراً مهما في التشابه بين صور الأبطال يرجع الى ثقافة الشاعر وطبيعة الشعر. فالشعراء في هذه الفترة نهلوا من ثقافة عربية واحدة وتأثروا بشعر الجهاد والثغور الذي تفَتَّقَتْ عنه شاعرية أبي تمام والمتنبي.. وهذا التشابه في الأصول أدى الى تشابه في الصور مع الاختلاف في بناء القصيدة وطريقة عرضها. أما طبيعة الشعر فهو من الشعر الغنائي المتأثر بجو المعركة الواقعي الحار أو المتأثر بأجواء المعارك في التاريخ، وكلا النمطين يجعل الشاعر يعتمد على محفوظه أو التعبير عن نفسه بأنماط وقوالب شعرية جاهزة كما دلت دراسة ألبرت لورد Albert B. Lord [1] وروث فنيجان Ruth Finnegan [2]. فقد رأى الأول ان الشاعر الشفوي يعتمد على أنماط جاهزة في ذهنه تتدفق من مخزونه الثقافي. في حين أضافت روث أن التقليد بأنماط وقوالب شعرية جاهزة قد يكون في الشعر الشفوي والشعر المكتوب.

لهذا لا يمكن التمييز بين الأبطال بناء على الصور الشعرية المرسومة وحدها، غالباً. وهذا ما حدا بالدكتور أحمد بدوي أن يقول: «فلم يستطع الشعراء برغم كثرة أشعارهم أن يتركوا لنا صورة متبينة المعالم، واضحة القسمات لكل بطل من هؤلاء الابطال»[3]، والحقيقة أن بعض هذا صحيح لما سبق الحديث فيه، ولكننا كثيراً ما نجد اشارات تدل على البطل من خلال التوريات والصور المشتقة من اسمه أو لقبه. وقد دل مسح سريع لشعر الحروب الصليبية الملحق برسالة الدارس[4] أن القصائد الكاملة لا تخلو من صور مشتقة مما يتعلق بهوية البطل، وبالتالي يمكن تحديد صاحب الصورة. إضافة الى أن بعض الشعراء كانوا يعمدون الى ذكر اسم البطل أو أحداث تاريخية مشهورة.. ويضيق هذا البحث عن ذكر الشواهد على ذلك لكثرتها. لذا يكفي التوقف عند أنماط منها. يقول ابن منير في نور الدين ذاكراً اسمه:

محمودٌ المحمودُ إقداماً اذا خام الكماة وزُلزلت أقدامها[5]

---

(1) Albert B. Lord. **The Singer of Tales.** p. 220.

(2) Ruth Finnegan, **Oral Poetry** Its nature, Significance and social context. p. 272

(٣) د. احمد بدوي. الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية. ص٤٥٣.

(٤) صورة الصليبيين في الأدب العربي، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية ١٩٧٨.

(٥) الروضتين. جـ١ ق١ ص٢٣١.

ويقول سعادة الأعمى ذاكراً اسم صلاح الدين:

فيا يوسف الخير الذي في يمينه ... من الخير ما قد غار فينا وأنجدا
و: هببت اليه هبة يوسفية ... تعيد هباءً كل ما كان جلمدا[1]

ومن هذه الأنماط ذكر لقب البطل. يقول ابن القيسراني:

من كان يغزو بلاد الشرك مكتسباً ... من الملوك فنور الدين محتسب[2]

ويقول:

هل وجه نور الدين غير سنى ... صدع الدجى عن خجلة البدر[3]

ويقول ابن منير:

يا نور دين الله كم حادث ... دجى وأسفرت له فانشرى[4]

ومن هذه الأنماط أيضاً صور متعلقة باللقب. يقول ابن منير:

عرفوا مكانك والظهيرة بينهم ... يغري بياضُ أديمها الديجورا
غضبان أقسم لا يشيم حسامه ... والأرض تحمل في الكفور كفوراً[5]

ويقول أيضاً:

غدا الدين باسمك سامي العلم ... أمينَ العماد مكين القدم
لذلك لقبت نوراً له ... وقد أغطش الظُّلم فيه الظُلَم[6]

ويقول ابو الحسن ابن الذروي في قائد الاسطول المصري الذي لحق الفرنج حين غزوا الحجاز:

يا حاجب المجد الذي ماله ... ليس عليه في الندى حُجْبه
ومن دعوه لؤلؤاً عندما ... صحّت من البحر له نِسْبه
لله من تعمل من صالح ... فيه، وما تظهر من حسبه
كفيت أهل الحرمين العدى ... وذدت عن أحمد والكعبة[7]

ومن صور التوريات بالأسماء ما ورد عند ابن الساعاتي في صلاح الدين:

فكنت كيوسف الصديق حقاً ... له هوت الكواكب ساجدينا[8]

ومنها ما ورد عند فتيان الشاغوري في مدح الملك موسى بن العادل وكان نازلاً على الطور:

---

(١) الروضتين جـ٢ ص٣٨٠.
(٢) الروضتين جـ١ ق١ ص١٥٢.
(٣) الورضتين جـ١ ق١ ص٤٦.
(٤) المصدر السابق ص١٤٧ وانظر ص١٥٦ و١٩٦.
(٥) الروضتين جـ١ ق١ ص٢١٦.
(٦) المصدر السابق ص٢٣٤.
(٧) المصدر السابق جـ٢ ص٣٦.
(٨) الروضتين جـ٢ ص٨٤.

على الطور ناجى الله موسى بنصره فبالطور ثغْر السلم أصبح محروسا[1]

ومنها ما ورد عن راجح الحلي يهنىء ابناء الملك العادل الذين اجتمعوا وطردوا الفرنج من دمياط سنة ٦١٨، متخذاً من اسماء الأخوة توريات جميلة، ومقرراً سموّ مكانة الملك الكامل محمد على المعظم عيسى والأشرف موسى:

ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً عقيرته في الخافقين ومنشدا
أعُبّادَ عيسى، إن عيسى وحزبه وموسى جميعاً ينصران محمدا[2]

ابطال القلم:

وقد تنبه ابن القيسراني وابن سناء الملك الى نوع آخر من الأبطال لم يكن لهم باع في ميدان القتال وانما شاركوا بأقلامهم. فهذا ابن القيسراني يمدح القاضي كمال الدين ابن الشهر زوري ويهنئه بفتح الرها، فيقول:

لله أية وقفة بدرية نُصرتْ صحائبها بأيمن صاحب
ظفرٌ، كمالَ الدين، كنت لقاحه كم ناهض بالحرب غير محارب
وامدكم جيش الملائك نُصرة بكتائبٍ محفوفة بكتائب
جنبوا الدبور وقُدْتمُ ريح الصبا جند النبوة، هل لها من غالب[3]

أما صورة ابن سناء الملك للقاضي الفاضل فهي قائمة على مجموعة من المقابلات تشمل اسمه وأثره مقارناً بالملوك وأفعاله في كسب النصر، يقول:

بلغ السماء معالياً ومكارما ظهرت، ويبلغ فوق ذلك مظهرا
فَضلَ الملوكَ، فصار يُسْمى فاضلاً صغروا لديه فصار يدعى الأكبرا
ويحط ألوية الملوك وأنه متكبر عن أن يرى متبختراً
فبقوله حد الحسام مفللاً وبرأيه خد الهزبر معفرا
الرأي أبيض واليراع مسوّد فيقوم في حرب العدو مشهرا
جعلتْ براعتُه الكلامَ للفظه عبداً، ولكنا نراه محرراً
وسقى الندى من راحتيه يراعه فلذاك أزهر بالبيان وأثمرا[4]

وله فيه من قصيدة أخرى:

---

(١) ديوانه ص٢٢٣.

(٢) الذيل على الروضتين ص١٢٩ ـ ١٣٠ وانظر ديوان ابن النبيه ص٥٥ وديوان ابن دنينير ورقة ٢.

(٣) الروضتين جـ١ ق١ ص٩٨.

(٤) ديوان ابن سناء الملك ص٣٥١ ـ ٣٦١.

وما فاته الا الجيوش يجرّها ... وقد جر منها ما يضيق به البر
ولا فرق لولا اللون بين سلاحهم ... فآراؤه بيض ورياتهم صفر
وخاض بهم في البر بحراً من الردى ... طرائقه سود وأمواجه حمر
وجاز طريقاً يرهب النسر قطعها ... على أنه نسر الكواكب لا النسر
ويطلع فيها الصبح والليل بعده ... وفي قلب ذا خوف وفي صدر ذا ذعر
تهاب الرياح الهوج مسّ ترابها ... فما ناله ذل السباء ولا الأسر
وجاز وأنف الكفر في الترب راغم ... وما زال من ايمانه يرغم الكفر
تحف به من خلفه وأمامه ... مهندة بيض وخطية سمر
فتحرسه من جنده البيض والقنا ... وتحرسها منه التلاوة والذكر
وآب كأوب النصل للغمد سالماً ... على أن ذاك النصل ما فاته النصر
فليس يُوفّي كنهه الوصفُ جاهداً ... وليس يؤدي حق نعمته الشكر[1]

وهنا يبدو الفرق واضحاً بين صورة الأبطال أصحاب السيوف وصورة الأبطال أصحاب الاقلام، إذ ان الوصف الدقيق المرتبط بهوية البطل تجعل تحديد صورته وتمييزها أيسر وأسهل.

خاتمة:

مما تقدم، نجد أن الشعراء انطلقوا، في رسم صورة البطل، من مرتكزات دينية وقيم اجتماعية، ستمدت قوّتها من ذلك الصراع العسكري بين المسلمين والفرنج، لذا حرص الشعراء على تقديم عناصر البطولة نابعة من الدين والثقافة العربية، ومعطيات العصر في إطار الحرب والسلم.

وقد اتبع الشعراء أسلوبين رئيسين في وصف البطل: أسلوباً مباشراً يقدم صورة مثالية للشجاعة والقوة وحسن القيادة، وأسلوباً غير مباشر يعتمد على وصف قوة جيش الأعداء وكثرتهم، وبالتالي تمكن البطل من هزيمتهم، كما لجأوا الى ربط اسم البطل ومواقعه بالاسماء المشهورة من الأبطال والمواقع، كما ميزوا بين البطل المسلم والحكام المعاصرين له، وصوروا ضعفهم وتخاذلهم في مقابل فروسيته التي أثارت الرعب في نفوس الأعداء، ولكنها أقرت نفوس جيشه وشعبه.

ولقد أدرك الشعراء، من خلال شعرهم، أن صفة الشجاعة وما يتعلق بها في الحرب ليست كفيلة بجعل الشخص بطلاً متميزاً، لذا أسبغوا عليه صفات أخرى استمدت حرارتها من الواقع الذي يحياه الشعب والأمة الاسلامية، فهو يسعى دائماً الى توحيد القوى الاسلامية بالمعروف والقدوة الحسنة من غير ان يشق على شعبه ولا على بقية الشعوب الأخرى، لأن هدفه ارضاء الله والدفاع عن دينه، والاهتمام بالمسلمين والذب عن حياضهم، والتلطف بهم والتعفف عن أموالهم وأموال الدولة، لذا طارت له على مر الأيام سمعة حسنة وسيرة طيبة استهوت الناس والأماكن. وبذلك تشكلت ظاهرة أدبية لدى الشعراء في اقامة علاقة حميمة بين البطل والبلدان الاسلامية المحتلة وغير المحتلة، فصوروا تمنُّعها عن غيره، وطول

(١) ديوانه ص٣٧٨ ـ ٣٨٥.

انتظارها له بل اغراءها وتشوّقها اليه.

وبـذلك اكتملت للبـطل المسلم صورة مثالية في اوقات السلم وأوقات الحرب، وفي قيادة الجيش وسياسة الشعب، وفي علاقته مع الخالق وتعامله مع المخلوق.

وبسبب هذه الصورة المثالية للبطل، وبسبب هذا التركيز على القيم الرفيعة والمثل العليا، أصبح من الصعب التفريق بين بطل وآخر دون اللجوء الى عوامل مساعدة من النص أو من خارجه، كأن يذكر الشاعر اسم البطل او اسم الموقعة، أو يشتق من هذا وذاك صورة دالة عليه، أو يربط اسم البطل باسماء شبيهة له في التاريخ، أو يميزه بكونه من اصحاب القلم. إلا أن عاملاً آخر جعل التفريق أمراً صعباً، ذلك هو طبيعة انشاء الشعر الذي يعتمد على الشفوية والمحفوظ من التراث.

جريدة المصادر والمراجع

١ ـ الأبيوردي، ديوانه جـ٢ ت عمر الأسعد، مؤسسة الرسالة، بيروت سنة ١٩٨٧.

٢ ـ ابن الأثير، عزالدين ابو الحسين علي، الكامل في التاريخ. ط دار صادر ـ دار بيروت سنة ١٩٦٦م.

٣ ـ د. أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. ط مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٤م.

٤ ـ بهاء الدين زهير، ديوانه. دار صادر ـ دار بيروت ـ ١٩٦٤.

٥ ـ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة. دار الكتب المصرية. ١٩٣٥.

٦ ـ ابن الخياط، ديوانه. تحقيق خليل مردم بك، مط المجمع العلمي العربي بدمشق. ١٩٥٨.

٧ ـ ابن دنينير، ديوانه، **مخطوط** رقم ٨٧٤٤ المكتبة الظاهرية، دمشق.

٨ ـ رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية. نقله السيد الباز العريني. دار الثقافة، بيروت ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩م.

٩ ـ ابن سناء الملك، ديوانه، تحقيق محمد ابراهيم نصر. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٩م.

١٠ ـ ابـو شامة المقدسي: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية. ت محمد حلمي احمد. مط. لجنة التألف والترجمة بمصر سنة ١٩٥٦.

١١ ـ ابـو شامة المقدسي: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية. ت محمد حلمي احمد. مط. دار الجيل ط٢. بيروت ١٩٧٤.

١٢ ـ شرف الدين الأنصاري، ديوانه، ت عمر موسى باشا. مط الهاشمية، دمشق ١٣٨٧/ ١٩٦٧.

١٣ ـ طلائع بن رزيك، ديوانه. جمع محمد هادي الأميني. مط. النعمان، النجف الأشرف. العراق ١٩٦٤.

١٤ ـ ظافر الحداد، ديوانه. ت حسين نصار. دار مصر. ١٩٦٩.

١٥ ـ د. عبدالجليل عبد المهدي، بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية. دار البشير، عمان.

١٦ ـ عبدالقادر أبو شريفة، صورة الصليبيين في الادب العربي. على الآلة الطابعة. الجامعة الأردنية. ١٩٧٨.

١٧ ـ العماد الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء الشام. ت شكري الفيصل. المط. الهاشمية ١٩٥٥ ـ ١٩٦٤.

١٨ ـ العماد الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء مصر. ت أحمد أمين وزملائه. لجنة الترجمة والنشر مصر ١٩٥١.

١٩ ـ العيني، عقد الجمان من تاريخ أهل الزمان. **مخطوط** رقم ١٥٨٤، تاريخ، دار الكتب المصرية. القاهرة.

٢٠ ـ فتيان الشاغوري، ديوانه. ت أحمد الجندي. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق: ١٩٦٧.
٢١ ـ ابو الفداء اسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر. المط. الحسينية. مصر.؟
٢٢ ـ ابن الفرات. تاريخ ابن الفرات جـ٧ + ٨ ت قسطنطين زريق ونجلاء عزالدين. المط. الاميركانية بيروت: ١٩٣٩.
٢٣ ـ ابن كثير، البداية والنهاية. مط السعادة. مصر ١٩٤٨.
٢٤ ـ محمد سيد كيلاني، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي. مكتبة. مصر.؟
٢٥ ـ د. محمد كامل حسين، في أدب مصر الفاطمية. دار الفكر العربي. مصر.؟
٢٦ ـ د. محمود ابراهيم، صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني. ط١. المكتب الاسلامي: دمشق ـ عمان: ١٩٧١.
٢٧ ـ ابن ا لنبيه، علي بن محمد، ديوانه. المطبعة العلمية، القاهرة ١٣١٣هـ.
٢٨ ـ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب. مخطوط رقم ٥٤٩ معارف عامة دار الكتب.
٢٩ ـ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. ت جمال الدين الشيال. المط. الاميرية ١٩٥٣ ـ ١٩٦٠.
٣٠ ـ 1 - Albert B. Lord, The Singer of Tales. Atheneum, New York, 1976.
٣١ ـ 2 - Ruth Finnegan, Oral Poetry, Its nature, Significance and Social Context. Cambridge University Press. N.Y. Melbourne, 1977.